

الكتاب في علوم الكتاب

تأليف

الإمام المفسر أبي حفص عمر بن علي
ابن عادل الدمشقي الحنبلي
المتوفى بعد سنة ٨٨٠ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبدالموجود الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه برسالته للجامعة

الدكتور محمد سعد رمضان / الدكتور محمد الطولي الدسوقي حريا

الجزء الحادي عشر

المحتوى:

أول سورة يوسف - آخر سورة الحجر

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٢٦٤٢٩٨ - ٢٦٦١٢٥ - ٦٠٢١٣٣ (١) ٩٦١ -
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961.1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2298-3



9 0000 >



9 782745 122988

<http://www.al-ilmiyah.com.lb/>

e-mail : baydoun@dm.net.lb

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾، فاعل «ظنَّ»: يجوزُ أن يكون يوسف - عليه الصلاة والسلام - إن كان تأويله بطريق الاجتهاد، وأن يكون الشرابي إن كان تأويله بطريق الوحي، أو يكون الظن بمعنى اليقين؛ كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦]، و ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِي﴾ [الحاقة: ٢٠]، قاله الزمخشري. يعني أنه إن كان الظن على بابه، فلا يستقيم إسنادُه إلى يوسف؛ إلا أن يكون تأويله بطريق الاجتهاد، لأنه متى كان بطريق^(١) الوحي، كان يقيناً؛ فينسب الظن حينئذٍ للشرابي لا ليوسف - عليه الصلاة والسلام -.

وأما إذا كان الظن بمعنى اليقين، فيصح نسبته إلى يوسف - عليه الصلاة والسلام - إن كان تأويله بطريق الوحي.

وذهب قتادة: إلى كون الظن على بابه - وهو مسندٌ إلى يوسف إن كان تأويله بطريق الاجتهاد -، فإنه قال: «الظن هو على بابه؛ لأن عبارة الرؤيا ظن»^(٢).

قوله: «مِنْهُمَا»، يجوزُ أن يكون صفة لـ «نَاجٍ»، وأن يتعلّق بمحذوف؛ على أنه حال من الموصول.

قال أبو البقاء^(٣): «ولا يكون متعلقاً بـ «نَاجٍ» لأنه ليس المعنى عليه» قال شهاب الدين: لو تعلّق بـ «نَاجٍ»^(٤) لأفهم^(٥) أن غيرهما نَجَا منهما، أي: انفلت منهما، والمعنى: أن أحدهما هو الناجي، وهذا المعنى الذي نبه عليه بعيدٌ توهّمه.

والضميرُ في «فَأَنسَاهُ»، يعودُ على الشرابي، وقيل: على يوسف؛ وهو ضعيف.

فصل في الاختلاف فيمن أنساه الشيطان ذكر ربه

قال يوسف - عليه الصلاة والسلام - للناجي من الرجلين: ﴿أذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، أي: عند الملك، أي: اذكرني عنده أنه مظلومٌ من جهة إخوته، لما أخرجوه، وباعوه، ثم إنه مظلوم في هذه الواقعة؛ التي لأجلها حُبِسَ.

ثم قال تعالى: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ قيل: أنسى الساقى ذكر يوسف للملك، تقديره: فأنساه الشيطان ذكره لربه.

ورجّح بعضُ العلماء هذا القول، فقال: لو أن الشيطان أنسى يوسف ذكر الله، لما استحقَّ العقاب باللبث في السُجْن؛ إذ النَّاسِي غيرُ مؤاخَذٍ.

(١) في ب: يطابق.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤٧١/٧) وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣٧/٤) وزاد نسبته إلى أبي الشيخ.

(٤) سقط من: ب.

(٣) ينظر: الإملاء ٥٣/٢.

(٥) في ب: لثلا يفهم.

وقد يجاب عن ذلك بأن النسيان قد يكون بمعنى الترك، فلما ترك ذكر الله، ودعاه الشيطان إلى ذلك، عوقب.

وأجيب عن هذا الجواب بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾، فدل على أن الناسي هو الساقى لا يوسف، مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾، فكيف يصح أن يضاف نسيانه إلى الشيطان، وليس له على الأنبياء سلطان؟

وأجيب عن هذا بأن النسيان لا عصمة للأنبياء عنه، إلا في وجه واحد وهو الخبر من الله تعالى، فيما يلقونه؛ فإنهم مَعْصُومُونَ فيه، وإذا وقع منهم النسيان حيث يجوز وقوعه، فإنه ينسب إلى الشيطان؛ وذلك إنما يكون فيما أخبر الله عنهم، ولا يجوز لنا نحن ذلك فيهم، قال عليه السلام: «نَسِيَ آدَمُ فَتَسَيَّتْ ذُرِّيَّتُهُ» وقال: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أُنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ».

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - وعليه الأكثرون: «أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه؛ حتى ابتغى الفرج من غيره، واستعان بمخلوق؛ وتلك غفلة عرضت ليوسف من الشيطان»^(١).

«فَلَبِثَ»: مكث «فِي السَّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ» قال ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ أَخِي يُوسُفَ؛ لَوْ لَمْ يَقُلْ: «اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ»؛ مَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ»^(٢)، ومما يدل على أنه المراد قوله ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ ولو كان المراد الساقى لقال فأنساه الشيطان ذكر يوسف^(٣). واعلم أن الاستعانة بغير الله في دفع الظلم، جائزة في الشريعة، لا إنكار عليه.

وإذا كان كذلك، فلم صار يوسف - عليه الصلاة والسلام - مؤاخذاً بهذا القدر؟ وكيف لا يصير مؤاخذاً بالإقدام على الزنا؟ ومكافأة الإحسان بالإساءة [أولى]؟

فلما رأينا الله أخذ يوسف بهذا القدر، ولم يؤاخذه في تلك القضية البتة، وما عابه، بل ذكره بأعظم وجوه المدح والثناء - علمنا أنه - عليه الصلاة والسلام - كان مبرراً مما نسبوه إليه.

فصل في اشتقاق البضع وما يدل عليه

قال الزجاج^(٤): «اشتقاق البضع من بَضَعْتُ بمعنى قَطَعْتُ».

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٢١/٧) وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣٧/٤) وزاد نسبه إلى ابن أبي الدنيا في كتاب العقوبات والطبراني وابن مردويه.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣٧/٤) وعزاه إلى أحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن الحسن مرسلاً.

وذكره أيضاً عن أبي هريرة وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج ١١٢/٣.

(٣) سقط من: ب.